

تحديات تعلم اللغة العربية عند الأقليات العربية في فرنسا
وشبهات المستشرقين حولها وأثره على المجتمعات العربية

د. بن معمر سعيد

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
جامعة محمد بوضياف المسيلة/ الجزائر

**The challenges of learning the Arabic language
among Arab minorities in France,
the suspicions of Orientalists about it,
and its impact on Arab societies**

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

تحديات تعلم اللغة العربية عند الأقليات العربية في فرنسا

وشبهات المستشرقين حولها وأثره على المجتمعات العربية

د. بن معمر سعيد

كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية/ جامعة محمد بوضياف المسيلة/ الجزائر

ملخص:

إن أعداء اللغة العربية كثيرون جدا قديما وحديثا، فمنهم من حاربها من الداخل من أبناء جلدتنا من العلمانيين والملحدين ممن تأثر بفكر التجديد والحداثة، ومنهم من حاربها من الأنظمة الحاكمة بتضييق الخناق على مجال تعلمها بالنسبة لإخواننا العرب في بلاد الغرب، وبالأخص في فرنسا حيث يتواجد بها أكبر نسبة من المقيمين العرب. ومنهم من حاربها بالفكر والقلم وهم كتاب الغرب المستشرقون، وهؤلاء المستشرقون هم أخطر على الأمة من أعدائها الغزاة، لأنهم يجارون العرب في عقر دارهم بالصورة المشوهة والشبهات التي ينشرونها عن صعوبة اللغة العربية، والتي كان لها الأثر الكبير في نشأة جيل غريب عن الأمة، جيل متنكر لهويته وقوميته العربية.

لذا كان الهدف من البحث الكشف عن هذه التحديات التي تعيشها مجتمعاتنا العربية، وبالأخص الكشف عن بعض الحقائق المرة التي تمر بها الأسر العربية في فرنسا خاصة، وما نعانيه اليوم من كثرة شبهات المستشرقين حول اللغة الأم، لغة الوحيين القرآن والسنة، اللغة العربية، وبيان آليات مواجهة هذه التحديات، وطرق نقد شبهات المستشرقين وإبطالها من أساسها، والدفاع عن قدسية النص الشرعي بالدفاع عن اللغة العربية التي أنزلها بها.

والإشكال المطروح: ما هي الصعوبات والضغوطات التي تمر بها الأسرة العربية في فرنسا للتمسك بهويتها وانتمائها للقومية العربية فيما تعلق بتعلم وتعليم اللغة العربية والتكلم بها؟، وما هي أبرز الشبهات التي يثيرها المستشرقون عن اللغة العربية والتي تأثر بها الكثير من أبنائنا في شتى أنحاء البلاد العربية؟ وما مناهج نقدها عموما وتفنيدها وإبطالها خصوصا؟.

فكان من نتائج البحث: أن من أعظم أهداف فرنسا إذابة الأسرة العربية في المجتمع الفرنسي والضغط عليها بكل الوسائل المتاحة للانسلاخ من قوميتها وهويتها العربية، وأن من أعظم أهداف المستشرقين وأتباعهم من الحداثيين من الطعن في اللغة العربية هو هدم الإسلام وتشكيك المسلمين في دينهم تحت غطاء التجديد، والعالمية، والعولمة، وحوار الحضارات، والبحث والتحقيق العلمي.

Abstract:

The enemies of the Arabic language are very many, both ancient and modern. Some of them fought it from within, among our fellow secularists and atheists, who were influenced by the ideas of renewal and modernity. Among them were those from the ruling regimes who fought it by restricting the scope of learning it for our Arab brothers in the West, especially in France, where it is located. The largest percentage of Arab residents.

Among them are those who fought it with thought and pen, and they are the Orientalist writers of the West. These Orientalists are more dangerous to the nation than its invading enemies, because they fight the Arabs in their own homes with the distorted image and suspicions they spread about the difficulty

of the Arabic language, which had a great impact on the emergence of a generation alien to the nation, a generation in disguise. For his Arab identity and nationalism.

Therefore, the aim of the research was to reveal these challenges that our Arab societies are experiencing, and

in particular to reveal some of the bitter truths that Arab families are going through in France in particular, and what we suffer today from the many orientalist suspicions about the mother tongue, the language of the two revelations, the Qur'an and Sunnah, the Arabic language, and explaining the mechanisms of Confronting these challenges, and ways to criticize the suspicions of the Orientalists and invalidate them from their foundations, and defend the sanctity of the legal text by defending the Arabic language in which it was revealed.

The problem at hand is: What are the difficulties and pressures that the Arab family in France goes through to adhere to its identity and affiliation to Arab nationalism with regard to learning and teaching the Arabic language and speaking it? And what are the most prominent suspicions raised by Orientalists about the Arabic language, by which many of our children throughout the Arab countries have been affected? ? What are the methods of criticizing it in general and refuting and invalidating it in particular?

The results of the research were: that one of the greatest goals of France is to dissolve the Arab family in French society and to pressure it with all available means to break away from its Arab nationalism and identity, and that one of the greatest goals of the Orientalists and their modernist followers in attacking the Arabic language is to demolish Islam and make Muslims doubt their religion under the guise of renewal. , internationalism, globalization, dialogue of civilizations, and scientific research and investigation.

مجلة دراسات العلوم
الإسلامية

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف خلق الله أجمعين؛ نبينا محمد وعلى آله وصحبه ومن والاه إلى يوم

الدين. وبعد:

فإن الله تعالى أنعم علينا بأكمل دين وأفضل شريعة وخير نبي، وفضل هذه الأمة بالإسلام على غيرها من الأمم، وجعلها أمة متبعة لا متبعة، مؤثرة لا متأثرة، تقود ولا تنقاد، عقيدتها التوحيد، وشريعته الإسلام، وكتابها القرآن، وقدوتها رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولغة وحييها اللسان العربي المبين.

جاء الإسلام بشريعة رابنية في مصدرها وغايتها، علمية في خطابها ودعوتها، وسطية في عباداتها ومعاملاتها، شاملة لمصالح العباد في الدنيا والآخرة، سمحة ميسرة لا حرج فيها، مرنة تواكب أحكامها متغيرات الزمان والمكان، خالدة ما دامت الأرض والسموات، واقعية مثالية لا غلو فيها ولا تفريط، مهيمنة ناسخة لما قبلها من الشرائع، أمر الله تعالى كلا الثقلين باتباعها، ونصوص القرآن والسنة متواترة على ذلك.

قال الله تعالى: ﴿قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ جَمِيعًا الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ يُحْيِي وَيُمِيتُ فَأَمَّا لِلَّهِ وَرَسُولِهِ آلَئِنَّ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَكَلِمَاتِهِ وَاتَّبَعُوا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ (1).

وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: (وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَا يَسْمَعُ بِي أَحَدٌ مِنْ هَذِهِ الْأُمَّةِ يَهُودِيٍّ وَلَا نَصْرَانِيٍّ ثُمَّ يَمُوتُ وَلَا يُؤْمِنُ بِالَّذِي أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَّا كَانَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ) (2).

ولما علم أهل الكتاب أن الإسلام والقرآن والرسول صلى الله عليه وسلم حق، وأنهم لن يرجعوا عن دينهم الباطل، حملهم الحسد لما عليه المسلمون من نعمة الإسلام والتمسك به ديانة وشريعة ومنهج حياة، ولم يرق لهم ذلك فأعملوا كل الوسائل لإخراجهم من الإسلام.

قال الله تعالى ﴿وَدَكَّيْرٍ مِّنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَوْ يَرُدُّونَكُمْ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِنْدِ أَنفُسِهِمْ مِّنْ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ الْحَقُّ فَاعْتَصُوا وَأَصْحَابُ حَتَّىٰ يُأَيِّزَ اللَّهُ بِأَمْرِهِ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ (3).

وقال تعالى: ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الْبُهْدَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِلَّذِينَ ءَامَنُوا الَّذِينَ قَالُوا إِنَّا نَصْرِيٌّ ذَلِكَ بَأَنَّ مِنْهُمْ قَتِيلِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ﴾ (4).

فعداوة وحسد أهل الكتاب للمسلمين باقية إلى يوم الدين، فهذه الحروب الصليبية على بلاد الإسلام قد ولت، وجزت معها سجلا أسودا حافلا بالتخريب والحجاز، وبعدها جاء الاستعمار الحديث بالقوة السلاح لنهب الخيرات والقضاء على الهوية الإسلامية، فنشر البعثات التبشيرية لتنصير الأمة، إلا أنه رجع خائبا خاسرا لما وجده من صلابة المسلمين واستماتتهم في التمسك بدينهم وعقيدتهم.

ولما فشل الغرب قديما وحديثا في غزو بلاد الإسلام عسكريا، والوصول إلى هدفهم وهو هدم الإسلام، استعمل طريقة خبيثة أخرى وهي التضييق على الأقليات المسلمة المقيمة في أراضيها من جهة، والعمل على نشر الأباطيل والأكاذيب، وبث السموم

(1) الأعراف: 158.

(2) أبو نعيم، المسند المستخرج على صحيح مسلم، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، ت ط 1417هـ - 1996م، (1/ 217)، الحديث صحيح وإسناده حسن رواه مسلم عن يونس بن عبد الأعلى.

(3) البقرة: 109.

(4) المائدة: 82.

والشبهات في أوساطهم لزعة إيمانهم وعقيدتهم، وتشكيكهم في كتابهم ورسولهم وفصاحة وقوة ورفي لغتهم من جهة أخرى، وذلك بتجنيد علمائه ومثقفيه لدراسة وفهم طبيعة المجتمعات الشرقية عموماً، والحضارة العربية الإسلامية خصوصاً⁽¹⁾. فتصدى الغرب بطريق مثقفيه وعلمائه بالبحث في علوم الحضارة العربية الإسلامية وفلسفاتها وآدابها ولغاتها، ومن ثم نقل المعارف منها ومن فلسفاتها وتوظيفها فيما بعد ليلبس سيطرتها ونفوذها وهيمنتها الاستعمارية على المجتمعات الشرقية ابتداءً، والوصول إلى فرض نموذج حضاري ثقافي معين كما يريد الغرب انتهاءً.

وأطلق اسم المستشرقين على المشتغلين بدراسة حضارات المجتمعات الشرقية العربية الإسلامية، والذين التزموا في دراساتهم بالموضوعية والحياد أحياناً، بينما عكف أكثرهم على الضد من ذلك، حيث أصبح الهدف من دراساتهم هو هدم الثوابت العربية والهوية الإسلامية برسم صورة مشوهة رسمها الغرب عن هذه المجتمعات وحضارتها الراقية، مجانين في ذلك للموضوعية والحياد المطلوب في مثل هذه الدراسات.

وابتداءً من منتصف القرن العشرين ووصولاً إلى بداية الألفية الثالثة، ازداد نشاط هؤلاء المستشرقين بنشر الدراسات المغلوطة والصور المشوهة عن المجتمعات العربية الإسلامية، وبث الشبهات عن القرآن الكريم ونبههم الكريم محمد صلى الله عليه وسلم، والطعن في لغة الوحي، لغة الرقي والعلم والحضارة، ورميها باتهامات باطلة مغرضة، متسترين في ذلك كله تحت غطاء البحث المتجرد والتحديد والتحقيق العلمي أحياناً، وتحت تصورات ومفاهيم جديدة كالعولمة والتبادل الثقافي وحوار الحضارات أحياناً أخرى⁽²⁾.

لذلك كان التوجه بالتصدي للضغوطات التي تمارسها الأنظمة الحاكمة على الأقليات العربية المقيمة على أراضيها - فرنسا نموذجاً - في التمسك بالهوية العربية الإسلامية، واقتراح الحلول لمواجهة تلك التحديات، وكذا الرد على شبهات المستشرقين التي كانت مصدراً لتشكيك العرب المسلمين في لغتهم ودينهم أساساً مطلباً ملحا وضرورياً، وهذا ما سأتناوله من خلال هذه الدراسة وأعتني بنقدها وإبطالها إن شاء الله تعالى.

المطلب الأول: مشكلات التعليم والتربية لدى الأقليات العربية في فرنسا

إن التمسك باللغة الأم وهي اللغة العربية هو رمز من رموز التمسك بالهوية العربية الإسلامية، إلا أن واقع أكثر الأقليات العربية في بلاد الغرب أنهم يتحدثون باللغة الغالبة في المجتمع الذي يعيشون فيه، ولذلك تجدهم ينشؤون ولا يحسنون التكلم بها، وهذا من أبرز المشكلات التي تعاني منها هذه الأقليات العربية. وبالإضافة إلى مشكل إتقان اللغة الأم ومعرفة النطق والتكلم بها، تبرز مشكلة أخرى من أهم مشكلات التربية والتعليم في فرنسا وهي منع التلاميذ من التخاطب باللغة العربية داخل المؤسسات التعليمية العامة، مما يكرس ذوبان المستوطن العربي في مستنقع المجتمع الغربي وانسلاخه عن قوميته وانتمائه العربي، وهذا يعتبر تعد على حق من حقوقهم التي على الدعاة والعلماء والمثقفين الدفاع عنها، وإنكار هذا الظلم العظيم للأقليات العربية المسلمة.

وبيان وتفصيل هذه المشكلات التي تعاني منها هذه الأقليات في مجال التربية والتعليم موضح في الفرعين الآتيين:

(1) انظر: أحمد محمد بوقرين، دفع شبهات المستشرقين حول السنة، قسم أصول الدين - بالجامعة الأمريكية المفتوحة، (ص: 5).

(2) انظر: سعود بن عبد العزيز الخلف، دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم، د ت ط، دار غراس للنشر والتوزيع،

ص 149، دفع شبهات المستشرقين حول السنة (ص: 1).

الفرع الأول: مشكلة تعليم اللغة العربية

إن اللغة العربية هي عنوان شخصية المواطن المسلم، وبقدر ما تتعمق اللغة العربية في عقول المسلمين وألسنتهم يرتبطون بالإسلام أكثر فأكثر، إذ إن اللغة العربية هي مدخل لفهم القرآن، كما أنها مدخل لإبراز المعالم الأساسية في شخصية المسلم¹. وتعد اللغة العربية العنصر الثاني من عناصر الهوية الإسلامية، حيث إنه من المفترض بالنسبة لجميع المسلمين أن تكون اللغة العربية هي المشترك الأساسي للتواصل والتخاطب بينهم، وأن تكون هي العنصر الثاني الأكثر بروزاً في تشكيل هويتهم وانتمائهم. وبالاقتراب أكثر من مشهد الواقع اللغوي لمسلمي الغرب نجد أن للأقليات العربية المسلمة لغات كثيرة ومتنوعة بحكم تعدد أعرافها ومواطن إقامتها، ونتيجة لهذا فليس هناك لغة موحدة للتواصل بين أعضاء الأقليات العربية المسلمة إلا لغة البلد الغربي المقيمين فيه، وعلى الأرجح تكون اللغة الإنجليزية². والمعركة اللغوية التي يخوضها الغرب الغالب مع الشعوب العربية الإسلامية المغلوبة هي في الحقيقة حرب لغوية وفكرية وعقائدية في آن واحد، جذرها: الصراع بين الحق والباطل. ويخطئ من يظن أن اللغة وسيلة خطاب وتواصل فقط، بل اللغة عنصر مهم من عناصر تشكيل الهوية، ذلك أن الألفاظ لها دورها وأثرها، في نمط الفكر.

ومما يدعو للأسف والأسف أن تجد بعض أبناء جلدتنا المقيمين في هذه البلدان الغربية إن أحفظوا في لفظ، أو كتابة كلمة بلغة من اللغات الأجنبية المنتشرة ونهبوا لذلك، أبدوا تأسفهم واعتذارهم، وإن حصل الخطأ نفسه مع لغتهم الأم اللغة العربية، تجدهم لا يباليون ولا يعيرون له وزناً، بل بعضهم يتباهى قائلاً: لا أحسن العربية، وما الغريب في ذلك - الأمر عادي وطبيعي - . والهدف من وراء فرض اللغات الأجنبية على العرب المسلمين في المدارس التعليمية العامة هو هجر اللغة العربية، ومن ثم الجهل بالدين، ثم ضعف الشعور بالانتماء العربي الإسلامي، ولكي لا تبقى للمسلمين لغة توحدتهم وتجمعهم، فتذوب هويتهم وتسهل السيطرة عليهم³.

وإن المتتبع للسياسة الفرنسية تجاه اللغة العربية الفصحى يجد أنها واضحة صريحة لا لبس فيها، وهي محاربة هذه اللغة بكل وسيلة ممكنة، وقطع الصلة بكل ما يؤدي إلى نشرها وتعلمها، لأن الهدف المرسوم لها على المدى القريب هو تطوير المغاربة - والبربر منهم بصفة خاصة - خارج إطار هذه اللغة والانتماء للحضارة العربية الإسلامية⁴، وإحياء وتعزيز انتمائهم التاريخي إلى اللغة الأمازيغية البربرية المنحدرة في الشمال الإفريقي.

الفرع الثاني: مشكلة التخاطب باللغة العربية

ومن المعوقات التي تقف حاجزاً أمام تعلم اللغة العربية لدى المقيمين العرب في بلاد الغرب عموماً وفرنسا خاصة، نجد أن هذه اللغة غير متداولة في الوسط الذي يعيش فيه التلميذ، بمعنى أنها ليست لغة للتخاطب داخل بيته وبين زملائه من أصول عربية،

1- د / انظر: محمد يسري إبراهيم، فقه النوازل للأقليات المسلمة تأصيلاً وتطبيقاً، ص 144.

2- أحمد السيد النجار، مقال بعنوان " بعد انتشار وثائق الطلاق السوري وعقود الزواج العربي.. " نقلاً على الموقع الأهرام اليومي، على الرابط:

<http://www.ahram.org.eg/NewsPrint/489803.aspx> (27 / 05 / 2017)

3- عبد الكريم القلاي، مقال بعنوان اللغات الأجنبية وأثرها على الهوية الإسلامية، على الرابط:

<http://articles.islamweb.net/media/index.php?page=article&lang=A&id=167681> (10/04/2017)

4- محمد عابد الجابري، مقال بعنوان " التعليم في المغرب في عهد الحماية الفرنسية بين الفرنسية وسلخ الهوية "، نقلاً عن موقع شبكة الألوقة على

الرابط www.alukah.net/social/0/112376 (10 / 04 / 2017)

وهذا يعكس إلى حد كبير نجاح السياسة الفرنسية في إدماج الإنسان العربي بصفة عامة في المجتمع الغربي وسلخه من هويته الأصل.

وأفادت الدراسات الإحصائية في هذا المجال أن نسبة 52 % من الأبناء العرب لا يتحدثون اللغة العربية ولو في صيغتها العامية الدارجة، سواء مع أباؤهم داخل المنزل، وناهيك على أن أكثر من 82 % لا يتحدثونها مع زملائهم من جنسية عربية خارج المنزل¹.

وهذا الأمر يمثل خطراً حقيقياً يهدد اللغة الأم داخل الأسرة العربية أولاً، ويهدد وجودها واستمراريتها بين أوساط المجتمع العربي المقيم بالغرب ثانياً.

الفرع الثالث: تحديات العولمة

ولعل من أهم التحديات التي تواجه اللغة العربية اليوم هو ما أطلق عليه مصطلح العولمة، وهي أحد أساليب الاستعمار الثقافي والاجتماعي والسياسي، ونحن هنا لا ننكر أن للعولمة جوانبها الإيجابية، ومنها نشر المعرفة والتبادل المعرفي والثقافي بين الأمم، وإقامة التواصل المعرفي بينها، ولكن سلبيات العولمة تفوق إيجابياتها².

الفرع الرابع: الحلول المقترحة

ولحل أزمة اللغة العربية لتأصيل الهوية وتعميق الانتماء ومواجهة التحديات الآنية والمستقبلية، تجدر الإشارة إلى الاقتراحات العاجلة الموالية:

- تفجير الطاقة الكامنة في اللغة العربية، من خلال إجراء البحوث المعمقة لاستكشاف قدراتها وآدابها، وبما يسهم في تبسيط قواعدها.

- الاستفادة من الثورة العلمية التي تشهدها اللغويات الحديثة، إذ أفرزت من المناهج العلمية التي يمكن بها تناول الكثير من جوانب إشكالية اللغة العربية التي استعصت على الحل فيما مضى.

- الاستفادة من التطور التقني الهائل في هندسة اللغة، وبما تزخر به شبكة المعلومات العالمية (انترنت) من مواقع عديدة لتعليم وتعلم اللغة الإنجليزية للناطقين وغير الناطقين بها، وتطوير مواقعها مشاهمة لخدمة اللغة العربية.

- تشجيع الباحثين في مجال النظرية الأدب وعلم النص الحديث والمعجمات والإنجازات التي أثبتت جدواها في معالجة اللغة العربية وخاصة في علم الصرف والنحو³.

المطلب الثاني: شبهات المستشرقين حول اللغة العربية والرد عليها وتفنيدها

لم يقف المستشرقون على محاربة الإسلام في الطعن في كتابه ورسوله صلى الله عليه وسلم فحسب، بل تعدى طعنهم إلى ثوابت الأمة وهويتها العربية، فذهبوا ينشرون الشبهات عن اللغة العربية فاتهموها بما يلي:

1 - قصور اللغة العربية عن التطور الحضاري وعجزها العلمي.

1- محمد علي الدراويس، بحث " أبناء المهجر وتعلم اللغة العربية " مجلة علوم التربية، العدد 61، جافني 2015.

2- الدكتور معمر فيصل حولي، مقال بعنوان " اللغة العربية: الهوية والانتماء - مركز الروابط للدراسات والاستراتيجية.

3- المصدر نفسه. <http://rawabetcenter.com/archives/1995> (14 / 05 / 2017)

2 - صعوبة نطقها وصعوبة كتابتها.

3 - ارتفاع مستواها عن فهم الناس.

4 - التفاوت فيها بين طريقة النطق وطريقة الكتابة⁽¹⁾.

وحرص المستشرقون القائلون بهذه الشبهات على أن تكون شبهاتهم هذه من المسلمات التي تحتاج إلى حلول مستعجلة، فاقترحوا لتلك الشبهات التي أثاروها حولها حلولاً وأساليب لمعالجة ذلك القصور وتلك الصعوبات وهي كالتالي:

1 - كتابة اللغة العربية أو العامية بالحرف اللاتيني.

2 - الدعوة إلى العامية، وتعييدها.

3 - إهمال الإعراب.

4 - الدعوة إلى تطوير اللغة والتصريف فيها⁽²⁾.

وللرد على هذه الشبهات والمطاعن عن اللغة العربية، ضمنت تنفيذها وإبطالها في الفروع الموالية:

الفرع الأول: الرد على الشبهة الأولى

إن رمي اللغة العربية بالقصور وعدم الكفاية العلمية تحمة لا تتفق مع حقيقة اللغة العربية؛ لأنها لغة حيّة عمليّة لها طاقة هائلة على استيعاب المعاني الغزيرة في الكلمات القليلة.

يقول الإمام الشافعي رضي الله عنه عن هذا الجانب في اللغة العربية: (ولسان العرب أوسع الألسنة مذهباً، وأكثرها ألفاظاً، ولا نعلمه يحيط بجميع علمه إنسان غير نبي)⁽³⁾.

وقد أقرت هيئة الأمم المتحدة عالمية اللغة العربية، وأدرجتها في اللغات المعتمدة (كلغة سادسة لشعوب الأرض كافة)⁽⁴⁾.

الفرع الثاني: الرد على الشبهة الثانية

إنّ صعوبة النطق وصعوبة الكتابة في اللغة العربيّة شبهة فيها كثيرٌ من التعسف؛ لأن قواعد النحو والصرف وطريقة كتابة الحرف العربي وضبطه بالشكل والإعجام من ناحية، وتحقيقه في مجال الأداء الصوتي من ناحية أخرى، تُخدِم ذلك كله بعبقريّة وبراعة أظهرت تميّز اللغة العربيّة على سائر اللغات، وحدّدت دلالة الألفاظ على المعاني بغاية الدقّة، فقد عكف علماء الأُمَّة على اللغة العربيّة وعلومها، واستنبطوا قواعدها، ووضعوا أصول نحوها وصرفها حتى تمت الضوابط والمقاييس في غاية الوضوح والبيان ممّا جعلها لغةً علميّةً مكتسبةً يسهل حذقها وتعلمها على أبناء اللغة العربيّة الناشئين⁽⁵⁾.

الفرع الثالث: الرد على الشبهة الثالثة

(1) انظر: : رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1408هـ - 1988 م، ص (166-187)، وإسحاق بن عبد الله السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط 1، ت ط 1434هـ - 2013 م، (2/900).

(2) انظر: السيد رزق الطويل: اللسان العربي والإسلام معاً في معركة المواجهة، من سلسلة (دعوة الحق)، السنة السادسة، عن رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد [60]، ربيع الأول 1407 هـ، (ص: 47)، ودراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه: (2/901).

(3) محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع مصطفى الباي الحلبي بالقاهرة سنة 1358هـ/1940م، (ص 42).

(4) دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه: (2/901).

(5) انظر: صلاح عبد المقصود وحسن علي ربات، لغة القرآن بين مكر الأعداء وحرص الأبناء؛ تحقيق: نشر في مجلة الأُمَّة، تحت عنوان: (جمع اللغة العربيّة لماذا؟)، العدد [43]، ت ط 1404هـ، (ص 59).

أما ارتفاع اللغة العربيّة عن مستوى فهم الناس فهذه شبهة مردودة من عدّة أوجه، أهمهما التالية:

أ- اتصال العربيّة بالطبيعة: فقد توصّل علماء اللغة العربيّة إلى القول بأنّ أصولها الثنائية تحاكي في الغالب - كما هو الحال في بعض اللغات الأخرى - أصوات الطبيعة بما فيها من جماد وحيوان وإنسان بدائي، ومن هنا كانت بعض كلمات أمثال: خريز الماء، وهبوب الرياح، وهدير العاصفة، ومواء الهر، وصهيل الجواد، ونباح الكلب، ورغاء الجمل، وأمثالها انعكاسًا للطبيعة، ومنبتقة عنها.

ب- اتصالها المحكم بالمجتمع: ذلك أن العرب عاشوا أسراً محكمة الأواصر، تجتمع في أفخاذ ويطون وعشائر وقبائل، تغوص عمقاً في النسب الصريح، وتنداح اتساعاً بالتزواج والتوالد، وهي في كل حال متماسكة يشد بعضها بعضاً. . . وعلى صورة هذا المجتمع ومثاله كان كلامهم وجرى لسانهم: الألفاظ تتوالد وبينها آصرة القرى، فالأصل هو المصدر مثل: (علم)، ومنه الماضي الجرد: علم، ومنه اسم الفاعل: عالم، واسم المفعول: معلوم، والصفة المشبهة: عليم، ووزن المبالغة: علّامة، واسم التفضيل: أعلم، ومن فعل (جمع) يؤخذ اسماً الزمان والمكان: جَمَع، ومن فعل (فتح) يؤخذ اسم الآلة: مفتاح. . . وجميع هذه المشتقات متفقة في حروفها الأصلية وترتيبها ومعناها الأصلي (1).

إذاً فاللغة العربيّة لغة مطبوعة، وتعبّر عن الفطرة، وتتفق وحقائق الأشياء، ولها جرسها الشعاعي الجميل، وهي سهلة التعلم والتعليم، على عكس ما يتهمها به المستشرقون.

الفرع الرابع: الرد على الشبهة الرابعة

أما التفاوت بين النطق وطريقة الكتابة فإنّه موجود في سائر اللغات الأخرى وواسع فيها، واللغة الإنجليزيّة وهي تتسّم المركز الأول في سلم اللغات العالميّة في العصر الراهن فيها ما يزيد على (200) أصل لغوي شاذ، في حين أنّ التفاوت بين النطق والكتابة في اللغة العربيّة محدود في كلمات تعد على أصابع اليد الواحدة مثل (هذا، لكن، داود، عمرو، اللام الشمسية)، ولا يعد هذا التفاوت عيباً، ولا سيما أنّه مسموع عن العرب، فيحفظ ولا يقاس عليه.

وينبغي أن يذكر أنّ ما يؤخذ على اللغة العربيّة - في هذا الصدد وغيره - هو في واقع الأمر من مزاياها، فمثلاً مثنى الكلمة العربيّة يجتزل في كلمة واحدة مثل رجل مثناها: رجلان، في حين يكتب في اللغات الأخرى كلمتين.

خلاصة القول: إنّ هذه الشبهات التي أظهرها بعض المستشرقين، ونظّروا لها في دراساتهم اللغويّة بدعم من الدوائر المعادية للإسلام، وبخاصة الاستعمار والصهيونية وقبلهما التنصير، لا تتركز على أساس ولا يوجد لها مبرر من حيث منطلق الشبهة في أساسها (2).

● خاتمة:

أولاً - لقد تعرفنا في الصفحات الماضية على جوانب من التحديات التي تواجه العرب المقيمين في بلاد الغرب عموماً وفي فرنسا خصوصاً، واستعرضنا جوانب من الاستشراق وخطورته على المجتمعات العربية الإسلامية.

(1) انظر: المعجم العربي الأساسي الصادر عن المنظمة العربيّة للتربية والثقافة والعلوم توزيع (لاروس) (1989م)، (ص 14)، وشهادة الخوري،

دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، (ص 14)، ودراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه: (2/ 908).

(2) انظر: رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، (ص 167).

وأمام هذا الخطر الداهم، لا بد أن نقدم بعض الوسائل لمواجهة كل تلك التحديات التي تواجهها بالأصالة اللغة الأم، ومنها أن تمثل أنفسنا ونحاسبها ونقوم بواجبنا نحو أنفسنا وأمتنا العربية الإسلامية، وذلك بأن تقوم مؤسساتنا العلمية برسم الصورة الثقافية، والتاريخية، والعقدية لأمة الإسلام دون أن تخضع للأفكار المسبقة التي رسمها المستشرقون، بعقد مثل هذه المؤتمرات العلمية للتصدي للحملات الإستشراقية المغرضة.

ثانياً- على الدعاة والعلماء والمتقنين المسلمين أن يقوموا بواجب الدعوة والعلم الصحيح بنشر كل ما يتعلق ثوابت الأمة وترسيخ هويتها في شتى جوانب الحياة، وأن يسعوا إلى نشر تعاليم دين الإسلام الحنيف، فإننا متى ما عرفنا الإسلام فمن السهل أن نتعرف إلى الشبهات التي يثيرها الاستشراق، ونستطيع أن نرد عليها.

ثالثاً- على الباحثين العرب كل في مجال تخصصه أن يقدموا أعمالاً جماعية وأخرى فردية لمواجهة التحديات التي تتخبط فيها الأقليات العربية في بلاد الغرب عموماً من جهة، ولمواجهة الاستشراق وأعمال المستشرقين وأذيالهم من الحدائين من جهة أخرى.

قائمة المصادر والمراجع:

1. أبو نعيم، المسند المستخرج على صحيح مسلم، تحقيق: محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ط 1، ت ط 1417هـ - 1996م.
2. إجنسس غولد زيهر، مذاهب التفسير الإسلامي، ترجمة: عبد الحليم النجار، مصر، مكتبة الخانجي، مطبعة السنة المحمدية، 1374هـ.
3. أحمد محمد بوقرين، دفع شبهات المستشرقين حول السنة، قسم أصول الدين - بالجامعة الأمريكية المفتوحة.
4. إسحاق بن عبد الله السعدي، دراسات في تميز الأمة الإسلامية وموقف المستشرقين منه، وزارة الأوقاف والشؤون الإسلامية، قطر، ط 1، ت ط 1434هـ - 2013م.
5. رمضان عبد التواب، بحوث ومقالات في اللغة، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 2، 1408هـ - 1988م.
6. سعد المرصفي، المستشرقون والسنة، د ت ط، مكتبة المنار الإسلامية ومؤسسة الريان، بيروت - لبنان.
7. سعود بن عبد العزيز الخلف، دحض دعوى المستشرقين أن القرآن من عند النبي صلى الله عليه وسلم، د ت ط، دار غراس للنشر والتوزيع.
8. السيد رزق الطويل: اللسان العربي والإسلام معاً في معركة المواجهة، من سلسلة (دعوة الحق)، السنة السادسة، عن رابطة العالم الإسلامي، مكة المكرمة، العدد [60]، ربيع الأول 1407هـ.
9. شحادة الخوري، دراسات في الترجمة والمصطلح والتعريب، د ت ط.
10. صلاح عبد المقصود وحسن علي ربات، لغة القرآن بين مكر الأعداء وحرص الأبناء؛ تحقيق: نشر في مجلة الأمة، تحت عنوان: (مجمع اللغة العربية لماذا؟)، العدد [43]، ت ط 1404هـ.
11. عبد العزيز أبو مجاهد بن عبد الفتاح بن عبد الرحيم بن الملائ محمد عظيم القارئ المدني، المستشرقون في الميزان، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط 1، 1394هـ - 1974م.
12. عبد المنعم محمد حسنين، الاستشراق وجهوده وأهدافه في محاربة الإسلام والتشويش على دعوته، الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، ط 2، 1397هـ - 1977م.
13. عمر بن إبراهيم رضوان، آراء المستشرقين حول القرآن الكريم وتفسيره، دار طيبة، الرياض، ط 1، 1413هـ - 1992م.

14. عمر عودة الخطيب، محات في الثقافة الإسلامية ، مؤسسة الرسالة، ط 3، 1399 هـ - 1979 م.
15. محمد بن إدريس الشافعي، الرسالة، تحقيق: أحمد محمد شاكر، طبع مصطفى البابي الحلبي بالقاهرة سنة 1358هـ/1940م.
16. محمد بن جرير بن يزيد بن كثير بن غالب الآملي، أبو جعفر الطبري، جامع البيان عن تأويل آي القرآن، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات الإسلامية بدار هجر، عبد السند حسن يمامة ، دار هجر، ط 1، 1422 هـ - 2001 م.
17. محمد عامر عبد الحميد مظاهري، منهج الإسقاط في الدراسات القرآنية عند المستشرقين دراسة تحليلية منهجية، المصدر: موقع صيد الفوائد، د ت.
18. محمد عبد الله دراز، مدخل إلى القرآن الكريم، عرض تاريخي وتحليل مقارن، ، ترجمة محمد عبد العظيم علي، مراجعة السيد محمد بدوي، الكويت، دار القلم، 1406هـ.
19. مصطفى السباعي، الاستشراق والمستشرقون "ما لهم وما عليهم"، ، دار الوراق الرياض، ط 1، ت ط 1420هـ، 1999م.
20. مصطفى خالدي، وعمر فروخ، التبشير والاستعمار في البلاد العربية، المكتبة العصرية، بيروت، ط. خامسة 1973 م.
21. المعجم العربي الأساسي الصادر عن المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم توزيع (لاروس) (1989م).